المختصر المفيد في الخطوات المنهجية للبحث العلمي.

A useful manual for the methodology of scientific research.

أ.احميدة العوني، الكلية متعددة التخصصات بتازة، جامعة سدي محمد بن عبد الله بفاس، المملكة المغربية.

ملخص: هذا مقال يحاول أن يضع ما يشبه دليلا مختصرا لمنهجية البحث العلمي بين يدي الطلاب والباحثين، ذلك بأن موضوع منهجية البحث على أهميته قلّما يلقى الاهتمام الكافي في المؤسسات التعليمية ومعاهد البحث، وهذا ما يطرح مشكلة بالنسبة إلى الطلاب ومشرفيهم والباحثين عامة، حيث لا يستندون إلى منهجية واضحة تجعل بحثهم مقبولا شكلا ومضمونا.
وقد لخّص هذا المقال أهم أصول البحث العلمي وقواعده وخطوات كتابته، إذ ذكر الصفات التي تساعد على البحث، مثل الصبر والأناة والثقة في النفس والأمانة والموضوعية والقدرة على النقد والتحليل، وأشار إلى بعض مناهج البحث العلمي الشائعة، منها المنهج الوصفي التحليلي والمنهج التجريبي والمنهج الاستقرائي والمنهج التاريخي، ثم ذكر الخطوات العملية للبحث العلمي، وهي البحث عن موضوع صالح للبحث، وقد حدد معايير صلاحية الموضوع للبحث، وهي الجدة والفائدة، وأشار البحث إلى سبيل العثور على موضوع صالح للبحث، من ذلك مداومة القراءة واليقظة والانشغال وسؤال أهل الاختصاص، ثم تحدث عن الخطوة الثانية وهي جمع المادة وتوثيقها وتصنيفها وتحليلها، وذكر أهم ما ينبغي مراعاته في الخطوة الثالثة وهي تحرير البحث، من حيث أسلوب الكتابة، وتصميم البحث، وعنونته، وتنسيق أجزائه، كما بين العناصر المهمة في مقدمة البحث وخاتمته.
الكلمات المفتاحية: منهجية، البحث العلمي، أصول البحث العلمي، خطوات، تحرير البحث.

Abstract: This article tries to provide students and researchers with a brief glossary of the methodology of scientific research mainly because methodology of research, as important as it is, is rarely given enough attention in educational institutions and research institutes, which poses a problem for students and their supervisors in general. This article is an attempt to make research acceptable both in form and content.
The article in hand summarizes the most important scientific research bases, rules and writing steps. It sheds light on the different qualities that help the researcher, such as patience, self-confidence, honesty, objectivity and the ability to criticize and analyze. The article also refers to some common scientific research methods: the descriptive analytical approach and the experimental method. It states some practical steps of scientific research, namely, the search for a valid subject for research, it also determines some valid criteria for the subject of research, which are novelty and interest, and it stresses the importance of the search for a valid topic for research that mainly include the maintenance of reading, vigilance, interest in addition to the constant questioning of specialists. The second step is collection, documentation, classification and analysis of materials. The most important thing to consider in the third step is the editing of the research in terms of the writing style, design of

the research, its title and the coordination of its parts, as well as the important elements in both the introduction and conclusion of the research.
Keywords: Methodology, Scientific research, The origins of scientific research, Steps, Edit the search.

مقدمة:

يكاد البحث يكون فطرة الخَلْقِ كُلِّهِ، فمن يتدبّرِ الطبيعة يَرَ رأي العقل أن المخلوقات الحية كلها تبحث متى واجهت مشكلة صغيرة أو كبيرة في الحياة، فالحيوانات، مثل الطائر والذئب والثعلب، حين تجوع تخرج باحثة عن الأكل، وحين تعطش تبحث عن الماء، وحين يشتد الحرّ تبحث عن الظل، وحين يشتد البرد ويقلّ الطعام تهاجر بعيدا بحثا عن حلّ للمشكلة وكذلك الإنسان، وهو مخلوق وهبه الله تعالى عقلا خاصا.

والإنسان تتعدد حاجاته وتتطور، فبالإضافة إلى البحث عن الحاجات الطبيعية مثل الطعام والشراب والأمن، بحث الإنسان مشكلات أخرى، فحين وجد نفسه أمام إنسان آخر لا يتكلم بلسانه، بحث مشكلة اللغة، فتعلم لغة ثانية وثالثة، وعلّم غيره لغته، وابتكر الترجمة لنقل المعارف والحضارات، ولم يتوقف الإنسان منذ أن خلقه الله تعالى عن البحث، فقد ظلّ يواجه مشكلاته الخاصة والعامة بالبحث، ومن العجيب أنّ الإنسان، رغم تراكم أبحاثه منذ قرون مديدة، مازال يبحث عن حلول لمشكلات قديمة حديثة، فلو أخذنا مشكلة الطعام، لوجدنا أنّه كلّما انتهت مشكلة غذائية ظهرت أخرى حثّت الإنسان على البحث، فبعد أن كان يقتات من الطبيعة دون أن يزرع طعامه بيديه، دعته الحاجة إلى الزراعة التقليدية، ثم حثّته الظروف إلى تطوير الزراعة، فصارت زراعة عصرية تقنية، ثم ظهرت مشكلات أخرى، منها قلّة ماء السقي مثلا، فاخترع تقنية السقي بالتنقيط.

وقل هذا في ميادين الفكر والثقافة، فالإنسان باحث منذ الأزل وما يزال إلى الأبد، والبحث الحقيقي وراءه دائما مشكلة أو حاجة، لذلك يقال "الحاجة أم الاختراع"، ومعلوم أن البحث هو أساس رقي الأمم وازدهارها، وكل أمّة لا تبحث فمآلها التقهقر والضعف والاضمحلال، ولم يكن التطور الهائل للبحث وتراكمه في كل الميادين منذ قرون مسهلا للبحث الحقيقي دائما، فتقدّم الأبحاث وتطورها وتراكمها يصعّب على الباحثين أن يجدوا موضوعا جديدا يستحق البحث، ومطالعة كل الأبحاث في موضوع ما أمر صعب، مما قد يجعل البحوث الجديدة تَكْرَارًا لجهود سابقة لم تسعف الظروف على مطالعتها والاستفادة منها.

مشكلة البحث: كيف أبحث؟ كيف أتعلم؟

وكي يؤتيَ البحث ثماره لا بد من أن يكون بحثا منظما يستوفي شروطا في الموضوع والشكل والمنهج، ولعلّ هذا ما يصطلح عليه بالبحث العلمي، ولا بد لمن يريد البحث من أن يكون على بينة من أصول البحث العلمي وقواعده وخطواته، فالبحث الحقيقي ليس عملا عفويا انطباعيا فوضويا، بل هو عمل منهجي منظم، لكن هل لطلبة البحوث في سلك الإجازة والماستر والدكتوراه أحيانا فكرة عن منهجية البحث العلمي؟ وهل يَعُونَ أهميةَ هذا الموضوع في حياتهم العلمية؟ وهل الباحثون يراعون منهجية البحث العلمي أم يبحثون دون منهج؟ وهل المعنيُّ

بمنهجية البحث هو الذي يريد أن يكتب بحثا فقط؟ أليس المتعلم في المدرسة والجامعة والمعمل والمعهد والحياة عامة محتاجا إلى أبجديات منهج البحث العلمي، سواء أكتب بحثا أم لم يكتب؟.

إن كثيرا من طلبة التعليم العالي لم يدرسوا منهجية البحث العلمي دراسة خاصة كما درسوا مواد تخصصهم، إذ نادرا ما تكون " منهجية البحث العلميّ" مادة مقررة في التعليم العالي، فتجد الطالب ينجز بحث التخرج في الإجازة أو الماستر أو حتى الدكتوراه وهو لم يقرأ كتابا واحدا في منهجية البحث العلمي، ولم يتلق درسا واحدا في هذا الموضوع، وكثير من الطلبة لا يلقون بالا لهذا الجانب النظري فينهمكون في "البحث" ويحسبون أنّ ذلك كاف وهو المُهمّ. وهذا ما يجعل الباحث يخبط خبط عشواء وهو يبحث، وهذا وجه من أوجه مشكلة البحث العلمي عندنا في الوطن العربي، والمشرف غالبا لا يتسع وقته ليقول كلّ شيء بتفصيل عن منهجية البحث، بل قد يرى أنه ليس من اختصاصه أن يتحدث في هذا الموضوع، ذلك بأنّ الوقت المخصص للبحث في الإجازة أو الماستر مثلا لا يسمح بإنفاقه في الجانب النظري.

والطالب أو المتعلم باحث سواء أكتب بحثا أم لم يكتبه، فالبحث ليس محصورا في كتابة صفيحات لنيل شهادة، إنّ القراءة والتعلم أيضا بحث، فكلاهما بحث عن المعارف والمعلومات وعن حلول لمشكلات كثيرة تواجه المتعلم في المدرسة أو الجامعة أو في الحياة العملية أو الحياة الخاصة، لذا فمنهجية البحث العلمي والتعلم موضوع هام للباحث الكاتب والباحث القارئ غير الكاتب، ومن هنا فكل متعلم في المدرسة أو الجامعة أو في مجالات الحياة الأخرى الخارجة عن المؤسسات التعليمية، حيث الحياة كلها مدرسة، باحث. وهنا يكمن وجه آخر من أوجه المشكلة؛ فالمتعلم يخرج أو يتخرّج من المدرسة والجامعة دون أن يتعلّم كيف يبحث وكيف يتعلّم، وكيف يتثبّت من الأخبار والمعلومات التي أصبحت تتهاطل عليه من كل جانب، حيث تشيع الشائعات في الدين والتاريخ والطّب، وتنتشر بسرعة البرق بين الناس بفضل وسائل التواصل الاجتماعي والإعلام بمختلف أشكاله، في مقابل غياب منهج علمي للتثبت من المعلومات والأخبار، فالمفروض في التعليم أن يعلّم كيفية البحث والتعلم، كما يعلم الحروف الألفبائية، لكن مقررات التعليم في كثير من البلدان العربية مازالت مفتقرة إلى مادة " منهجية البحث العلمي"، ويأتي هذا المقال ليكون بمثابة دليل ميسّر لكل هؤلاء الباحثين، يساعدهم على السير سيرا صحيحا وهم يبحثون.

ومنهجية البحث العلمي موضوع متناول تناولا كافيا الآن، فقد كتبت مؤلفات كثيرة، في العصر الحديث، عالجت منهجية البحث العلمي وأصوله وقواعده، لكن هذه الدراسات تناولته تناولا فيه تطويل وتفصيل لا يناسب عصر السرعة حيث نعيش، ولا يستهوي الباحثين المبتدئين لقراءتها، ومن المؤلفات في هذا الباب نذكر: "أصول البحث العلمي ومناهجه" (أحمد بدر، 1996)، و"مناهج البحث العلمي"(عبد الرحمن بدوي، 1977)، و "المرشد إلى كتابة الرسائل الجامعية" (ذياب البداينة، 1999)، و"البحث العلمي، أسسه وطريقة كتابته" (محمد الصاوي ومحمد مبارك، 1992)، و"كتابة البحث العلمي؛ صياغة جديدة"(عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان، 2005)، فمثل هذه المؤلفات رغم أهميتها لا تشجع الطلاب على قراءتها لطولها وكثرة تفاصيلها، وتجدر الإشارة إلى أن البحث استفاد من أفكار مهمة منثورة في مؤلفات تراثية تناولت موضوع

منهجية البحث العلمي أو ما كان يسمى بالتأليف أو التصنيف، تناولا ضمنيا أو صريحا، منها: "مواد البناء" (علي بن خلف الكاتب، 2003)، و"تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم" (بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله، ابن جماعة، 2012)، و "التعريف بآداب التأليف" (جلال الدين السيوطي، دس)، و"القانون في أحكام العلم وأحكام العالم وأحكام المتعلم" (أبو المواهب الحسن بن مسعود اليوسي، 1998)، و "أبجد العلوم، الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم" (صديق بن حسن القنوجي، 1978).

وغياب الوعي بأهمية منهجية البحث العلمي جعل الطلاب لا يلتفتون إلى هذه المؤلفات رغم أهميتها، فهم يكادون لا يعرفون كتابا واحدا في منهجية البحث، وهذا ناتج أيضا عن غياب هذا الموضوع في مقررات التعليم المدرسي والتعليم العالي.

أهداف البحث ومنهجه:

يسعى هذا المقال إلى تقديم أهم قواعد البحث العلمي وأصوله وأهم خطواته العملية مختصرة مرتبة، كي تكون سهلة المأخذ، بالنسبة إلى الباحثين عموما والمبتدئين خصوصا، ويسعى إلى إثارة الباحثين المبتدئين خاصة كي يطلعوا بأنفسهم على ما يُهِمّهم في المؤلفات الخاصة بالموضوع، كما يهدف البحث إلى معالجة بعض المشكلات المرتبطة بمنهجية البحث العلمي والتي لم تعالج معالجة كافية في الدراسات السابقة، من ذلك سبل العثور على موضوع صالح للبحث، وعيوب طريقة جمعية علم النفس الأمريكية للتوثيق، كما يهدف إلى التنبيه على أضرار غياب مادة منهجية البحث العلمي في التعليم العربي.

واستعان هذا البحث بالمنهج الوصفي والمنهج التاريخي والمنهج الاستدلالي، حيث تتبع الدراسات في موضوع منهجية البحث العلمي، واستخلص أصول البحث العلمي وقواعده وخطوات كتابته، مصنفا ذلك في أجزاء مترابطة متسلسلة، كما استدل على أهمية الاتصاف بصفات الباحث كي تؤتي الأبحاث ثمارها، واستدلّ على أهمية برمجة منهجية البحث العلمي في مقررات التعليم بالمدرسة والجامعة، واستدل أيضا على فساد طريقة الجمعية الأمريكية لعلم النفس في التوثيق، وقد كانت التجربة الواقعية موجهة لكثير من مسائل هذا البحث، حيث إنّ تجربتي في التعلم و البحث العلمي بوصفي متعلما في التعليم المدرسي ثم طالبا في سلك الإجازة ثم الماستر ثم الدكتوراه، ثم مشرفا على طلبة البحث، كانت كافية لملاحظة المشكلة ووصفها وبيان أسبابها واستنتاج علاجها.

1- البحث لغة واصطلاحا:

1-1- البحث لغة: البحث في اللغة هو طلب الشيء في التراب، أي التفتيش عن شيء مخبوء في التراب، هذا هو الأصل، ثم انتقل ليدل على البحث والسؤال والاستخبار عن الشيء مطلقا، دون تقييده بالتراب، والبحث و التَّبَحُّثُ والابْتِحَاثُ والاسْتِبْحَاثُ بمعنى واحد، إذ يأتي وزن "افتعل" و "تفعّل" و"استفعل" من الجذر اللغوي(ب ح ث) بمعنى "فَعَلَ" المجرّد، قال ابن منظور: " ب ح ث: البَحْثُ: طَلَبُكَ الشيءَ في التراب؛ بَحَثَهُ يَبْحَثُهُ بَحْثًا، وابْتَحَثَهُ.

والبحث : أن تسأل عن شيء وتستخبر.

وبحث عن الخبر وبحثه يبحثه بحثا: سأل، وكذلك استبحثه، واستبحث عنه. الأزهري: استبحثت وابتحثت وتبحّثت عن الشيء، بمعنى واحد، أي فتّشت عنه" (ابن منظور، دس، ج2، ص114-115).

1-2- البحث اصطلاحا: البحث لغة هو التفحّص والتفتيش، واصطلاحا هو إثبات النسبة الإيجابية أو السلبية بين الشيئين بطريق الاستدلال" (علي بن محمد الشريف الجرجاني، دس، ص39)، وهو "عند بيرس...رغبة الانتقال من حالة الشك إلى حالة الاعتقاد، وعند ديوي رغبة تغيير الواقع لتحقيق مصالح الإنسان" (مراد وهبة، 2007، ص133)، "وقيل: البحث بذل الجهد في موضوع ما، وجمع المسائل المتصلة به، ومنه قولهم: البحث العلمي، وهو مجموع الطرق الموصلة إلى معرفة الحقيقة"(جميل صليبا، 1982، ص198).

والبحث مجهود منظم، لأخذ ملاحظات ولإجراء تجارب، وله قيمته العلمية، ولا يستحق البحث أن يكون بحثا إلا إذا أقيم لحلّ مشكلة معينة أكاديمية أو تطبيقية متخذا المنهج العلمي سبيلا لذلك" (محمد الصاوي ومحمد مبارك، 1992، ص25).

يبدو من خلال التعريفات السابقة أنّ البحث في الاصطلاح لا يختلف كثيرا عن مفهومه اللغوي، فهو تفتيش وتفحّص واستخبار في موضوع ما لحلّ مشكلة مادية أو فكرية، وفي هذه التعريفات إشارة إلى أهم شروط البحث العلمي، أولها مرتبط بموضوع البحث، فيشترط فيه أن يكون مجهولا كليا أو نسبيا، فلا يمكن بحث ما هو معروف ببحث سابق أو بالبداهة، وثانيها مرتبط بغرض البحث العلمي، فالمفروض في البحث أن تكون نتائجه ذات منفعة على الإنسان، سواء أ كان حلا لمشكلة، أم إثباتا لفرضية أو نفيا لها، أو غير ذلك مما ينفع، وثالثها مرتبط بمنهج البحث، فالبحث العلمي بحث منهجي، يسير وفق خطوات علمية ليصل إلى تقرير حقائق، وهذا ما أشار إليه الشريف الجرجاني بقوله:" إثبات النسبة الإيجابية أو السلبية بين الشيئين بطريق الاستدلال"، فالإثبات لا يكون بطريق التخمين والافتراض فقط، بل يكون بطريق الاستدلال بالحجج والأدلة كيفما كانت.

ومَا الباحثُ؟ يبدو أنّ الباحث يقصد به من يبحث بحثا يفيد البحث العلمي، وهنا يمكن الحديث عن نوعين من الباحثين؛ باحث لغيره (للبحث العلمي)، وباحث لنفسه، حيث يعتبر كل ما لا يعرفه، فيكتشفه بالبحث جديدا ونافعا بالنسبة إليه، بغض النظر عن جدة بحثه ونفعه بالنسبة إلى ما انتهى إليه البحث العلمي، وهذا ليس معناه أنّ الباحث العلمي ليس باحثا لنفسه، والباحثان كلاهما يدخلان فيما يسمى متعلما، إذ لا حدود للتعلم مهما بلغ الباحث من درجات العلم. وهذا البحث حين يستعمل مصطلح "الباحث" فهو يقصد المعنيين معا: الباحث لنفسه والباحث لغيره.

2- صفات الباحث:

الصبر والأناة: لا بد من الإشارة إلى ما ينبغي أن يتصف به الباحث، قبل الخوض في الخطوات المنهجية للبحث العلمي المكتوب، وعلى الباحث أن يكون على بينة من هذه الصفات، لأنها بمثابة أصول التعلم والبحث العلمي وقواعدهما، وهي من أهم العُدَدِ التي يحتاجها في حياته العلمية. إنّ هناك صفات كثيرة ينبغي أن يتصف بها الباحث، فبها يتسلّح للبحث، وبها يستعين على مشاقه وصعوباته، ولذلك فإنّ البحث الحقيقي لا يتأتى لكل الناس، وعلى رأس هذه الصفات الصبر

والأناة، فالبحث العلمي لا يتم بين عشية وضحاها، إنه يتطلب جهدا مستمرا، ويُسبّب عناء للباحث في الغالب، فإن لم يكن الباحث صبورا عجز عن مواصلة البحث، أو أتى بحثه ضعيفا في أحسن الأحوال، ولذلك على الباحث أن يتحلى بالصبر في البحث عن موضوع بحث مفيد، وأن يصبر على مشاق القراءة وجمع مادة البحث، وتصنيفها وتبويبها وتحليلها واستنتاج النتائج، وغير ذلك مما يستوجبه التعلم والبحث العلمي.

العزيمة والثقة في النفس: يحتاج الباحث أيضا إلى أن يكون واثقا في نفسه، له عزيمة على التحري والفحص وإدمان التفتيش عن كل ما يرتبط بموضوع بحثه، والثقة في النفس هي الصفة التي تساعد الباحث على أن يقتحم مجالات بحثية جديدة، وهي التي تمنحه قدرة على النقد الموضوعي للأبحاث السابقة، وتخول له أن يُقِرَّ أشياء جديدة ولو كانت مخالفة للمشهور المألوف، أما إذا غابت الثقة في النفس عند الباحث فسيظل مُردِّدًا لما قاله من سبقوه، مترَدِّدًا في الإعلان عما يراه مخالفا لهم، ولا يمكن أن تكون أفكار الباحث وآراؤه أصيلة إذا لم يتصف بالثقة في النفس، والثقة في النفس لا تعني التعصب للرأي الشخصي، الذي لا تدعمه حجج وبراهين علمية، ولا تعني الغرور والتَّعَالُمَ، وهي تُبْنَى بمداومة القراءة ودقتها وتنوع مجالاتها.

الأمانة والموضوعية: الأمانة العلمية والموضوعية من أهم صفات الباحث، ولا يمكن أن يعتبر بحثُ باحث علميا إذا لم يكن يتصف بهما، والأمانة العلمية لا يقصد بها توثيق مادة البحث وعزوها إلى أصحابها فقط، فالأمانة العلمية والموضوعية تقتضيان أن يتجرد الباحث من كل نزعة أو ميول أو تمذهب مهما كان، إذ لا ينبغي أن يكون بحثه تلبية صريحة أو ضمنية لنزعة ذاتية أو مذهبية أو ما شابه ذلك.

إنّ الأمانة والموضوعية تقتضيان أن لا ينحاز الباحث إلاّ لِمَا تُمْليه الحقائق العلمية، و" تختلف الأمانة العلمية عن التحيز اللاشعوري: فالأمانة العلمية تستقر في الضمير الحي والخلق المستقيم، وفيها إحساس واع بالنزاهة وممارسة للمسؤولية. أما التحيز اللاشعوري فإنه يسكن في اللاوعي ويتأثر بطبيعة الإنسان.."(أحمد عبد المنعم حسن، 1996، ج1، ص36).

القدرة على التحليل والنقد: من الصفات المهمة التي لا غنى للباحث عنها القدرة على النقد والتحليل، ذلك بأنّ النتائج البحثية المفيدة لا تتحقق إلا عن طريق النقد والتحليل، فليس البحث هو جمع المادة وتكرار أفكار الغير بأسلوب مختلف، فالباحث ناقد ومحلل في باب تخصصه، لا يقبل شيئا إلا بعد نقد وتحليل وفحص وتمحيص، مهمته لا تنحصر في النقل والوصف، بل تتعدى ذلك إلى المقارنة والتحليل ثم الاستنتاج، "إن الإسهام في المعرفة، هو الإسهام الأصيل من غير شك..وكل باحث يجب أن يعتد بمقدرته على استقلالية التفكير، لا أن يكون الباحث مجرد ناقل لأفكار الغير، أي أنّ البحث الأصيل يجب أن يكون أكثر من مجرد اقتطاع بعض أفكار الآخرين"(أحمد بدر، 1996، ص414).

التحلي بالأدب في المناقشة والمعارضة: قلنا إنّ من صفات الباحث أن يثق في نفسه وأن يكون ناقدا محللا لآراء الباحثين وأفكارهم، لا ناقلا واصفا فقط، فهو مطالب بأن يناقش غيره ويعارض إذا اقتضى الأمر، لكن ذلك كله لا ينبغي أن يخرج عن الأدب واللياقة واحترام الآخرين مهما

كانت آراؤهم، إذ يجب على الباحث ألا يستعمل عبارات وألفاظا فيها مس بالآخرين، بل عليه أن يعبّر عن رأيه المخالف بكل أدب واحترام و لباقة وتواضع.

3- مناهج البحث: والباحث يحتاج إلى أن يتخذ مناهج مناسبة لموضوع بحثه، " وبدون المنهج فإن البحث يصبح مجرد حصر وتجميع معارف، دون الربط بينها وبين استخدامها لعلاج مشكلة، فيغيب بذلك الإبداع العلمي، فالبحث العلمي يقوم على منهج منظم للتفكير العقلي لعلاج مشكلة، وتدين الحضارة الغربية الراهنة بما وصلت إليه لاستخدامها منهج البحث العلمي كوسيلة للتفكير"(محمد الصاوي ومحمد مبارك، 1992، ص26)، ومناهج البحث العلمي متعددة ومختلفة باختلاف مجالات البحث، لكن هناك مناهج علمية شائعة توظف في معظم مجالات البحث، من ذلك المنهج التجريبي، والمنهج الاستدلالي، والمنهج الوصفي، والمنهج التاريخي، والمنهج الاستقرائي الاستنباطي.

المنهج التجريبي: وهو منهج يعتمد التجربة في الوصول إلى النتائج العلمية، وهذا المنهج التجريبي "قوامه الملاحظة والتجربة والموضوعية والدقة والتعبير عن المعطيات باستخدام لغة الإحصاء أو الرياضيات"(عبد الفتاح محمد العيسوي، وعبد الرحمن محمد العيسوي،1997، ص10).

المنهج الاستدلالي: وهو منهج يعتمد الحجة المنطقية العقلية دون اللجوء إلى التجربة، فهو مبني على "البرهان الذي يبدأ من قضايا يسلّم بها، ويسير إلى قضايا أخرى تنتج عنه بالضرورة، دون التجاء إلى التجربة؛ وهذا السير إما بواسطة القول أو بواسطة الحساب، فالرياضي الذي يُجْرِي عمليات حسابية دون إجراء تجارب يقوم بعملية استدلال"(عبد الرحمن بدوي، 1977، ص82).

وهذا المنهج لا يستعمل في الرياضيات وما شابهها فقط، بل يستعمل في مجالات معرفية مختلفة عملية ونظرية، فالقاضي يوظّف منهج الاستدلال لإثبات التهمة أو نفيها من خلال وثائق ووقائع، فالقاضي يقوم بنفس العملية التي يقوم بها الرياضي(عبد الرحمن بدوي، 1977، ص82).

المنهج الاستقرائي: مأخوذ من اسْتَقْرَى يَسْتَقْرِي اسْتِقْرَاءً، وهو استفعل من "قَرَا يَقْرُو قَرْوًا"، ويعني تتبع الشيء وتفحصه والنظر في أحواله، قال ابن منظور:«وقَرَا الأَمْرَ واقْتَرَاهُ : تتبعه ابن سيده : قَرَا الأَرضَ قَرْوًا، واقْتَرَاهَا وتَقَرَّاهَا واسْتَقْرَاهَا تَتَبَعَّهَا أرضا أرضا وسار فيها ينظر حالها وأمرها، وقال اللحياني: قروت الأرض سرت فيها، وهو أن تمر بالمكان ثم تجوزه إلى غيره ثم إلى موضع آخر»(ابن منظور، دس، ج15، ص175)، ولا يختلف المعنى في الاصطلاح كثيرا عن المعنى اللغوي، فالاستقراء هو تتبع ظاهرة بجمع ما يرتبط بها من معلومات ووصفها ثم تفسيرها وتحليلها، فهو تتبع منهجي، وفق شروط وأهداف، والاستقراء منهج يوظف لقراءة ظاهرة "في العلوم التجريبية كالطبيعة والكيمياء والأحياء، كما تستخدمه بعض العلوم الإنسانية كالتاريخ والنفس والاجتماع"(عبود عبد الله العسكري، 2004، ص5)، وهي قراءة تسعى لبحث مشكلة أو ظاهرة، وهذه القراءة المنهجية الواعية تنطلق من جمع المادة أو المعطيات ثم ملاحظتها ووضع فرضيات، وتحليلها ثم تفسيرها واستنتاج نتائج تكشف "عن اطراد الظواهر وانطوائها تحت قوانين بعينها"(عبود عبد الله العسكري، 2004، ص5)، فالنحويّون حين استقرؤوا كلام

العرب، لاحظوا مثلا أنّ ما يفعل الفعل يكون دائما مرفوعا وما يقع عليه الفعل يكون دائما منصوبا، وأنّ الاسم بعد حرف الباء يكون مجرورا...فاستنتجوا قواعد على ضوء هذا لاستقراء والتحليل فقرروا مثلا أنّ الفاعل اسم مرفوع يقوم بالفعل يأتي بعد الفعل.

المنهج الوصفي: الوصف ركن أساس من أركان البحث العلمي(رجاء وحيد الدويدري، 2002، ص183)، إذ لا غنى للباحث عن الوصف في بحثه، فهو يحتاج الوصف في محطات عدة، حيث لا بد من وصف الظاهرة المبحوثة أو المشكلة ولا بد من وصف الدراسات السابقة ولا بد من وصف عدة البحث ومعطياته ولا بد من وصف النتائج وصفا دقيقا، لكن هذا لا يعنى أن هذا المنهج مبني على الوصف فقط، بل هناك عمليات أساسية أخرى في المنهج الوصفي منها الشرح والتصنيف والتفسير، فهو "يعتمد على الملاحظة بأنواعها بالإضافة إلى عمليات التصنيف والإحصاء مع بيان وتفسير تلك العمليات"(عبود عبد الله العسكري، 2004، ص6).

وعلى ضوء هذا المنهج الوصفي تمرّ عملية البحث بمرحلتين أساسيتين؛ هما مرحلة الاستكشاف والصياغة، حيث يتم كشف الظاهرة أو الملاحظة وصياغتها من خلال جمع المعطيات والمعلومات حول موضوع البحث سواء من المصادر والمراجع أو من خلال عينة معينة، أما المرحلة الثانية فهي مرحلة التشخيص، وفيها يتم تحليل البيانات والمعطيات من أجل تحديد القوانين أو القواعد التي تنتظم فيها الظاهرة المدروسة مع تفسير لها(عبود عبد الله العسكري، 2004، ص6).

4- موضوع البحث: أول خطوة منهجية عملية في البحث العلمي هي البحث عن موضوع البحث، وهذه الخطوة أساس البحث العلمي النافع، وليس العثور على موضوع صالح للبحث بالأمر الهين، فالبحث عن الموضوع بحث قائم بذاته، ولذلك ينبغي أن يضع الباحث في الحسبان أنّ العثور على موضوع البحث لا يتم بين عشية وضحاها كما قد يظن بعض الناس، فلا بد من التريث والصبر والتفتيش قبل تحديد الموضوع، فليس كل موضوع صالحا للبحث، وليس المهم هو جمع المادة أو تبوبها أو تحليلها ومناقشتها إذا كان أساس البحث فاسدا، فما معيار الموضوع الصالح للبحث؟

4-1- معيار صلاحية موضوع البحث:

الفائدة والجِدَّةُ: أهم ما ينبغي أن يتنبه له الباحث وهو مقبل على اختيار موضوع بحثه هو أن يسأل نفسه هل لهذا الموضوع فائدة؟ أي هل يحلّ مشكلة؟ هل يخترع شيئا جديدا نافعا؟ هل يصحح خطأ مشهورا في الفكر أو التاريخ أو الأدب أو الفيزياء؟ هل يطور فكرة أو نظرية أو تقنية، هل يجمع أشياء متفرقة ليسهل الانتفاع بها؟ مثل هذه الأسئلة ضرورية كي لا يكون البحث بلا فائدة، فلا قيمة لبحث مهما بذل فيه من جهد إذا لم يكن نافعا نفعا عاما أو خاصا، قال:(بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله، ابن جماعة، 2012، ص60): " والأولى أن يعتني بما يَعُمُّ نفعه وتكثُر الحاجة إليه، وليكن اعتناؤه بما لم يسبق إلى تصنيفه".

ولكن الفائدة لا تكون دائما في الموضوع الجديد الذي لم يسبق بحثه، فقد يفيد تناول موضوع سبق بحثه بحثا فيه خلل، فيأتي الباحث فيسدّ ذلك الخلل، إما بتصحيح أخطائه، أو بإعادة ترتيبه أو بتلخيصه أو بشرح مُغْلَقَاته أو بالزيادة فيه...وهذا ما أشار إليه(جلال الدين السيوطي، د. تاريخ، ص21) حين قال: "وينبغي أن يكون اعتناؤه من التصنيف بما لم يسبق إليه أكثر، والمراد بهذا أن

لا يكون هناك مصنَّف يُغْنِي عن مُصَنَّفِه في جميع أساليبه، فإن أغنى عن بعضها، فليصنف من جنسه ما يزيد زيادات يحتفل بها مع ضمّ ما فاته من الأساليب، وليكن تصنيفه فيما يعمّ الانتفاع به ويكثر الاحتياج إليه".

وقد لخص(صديق بن حسن القنوجي، 1978، ص188-189) مواضيع البحث المفيدة في سبعة أقسام، قال: " إنّ التآليف على سبعة أقسام لا يؤلّف عالم عاقل إلا فيها.

-وهي إمَّا شيء لم يُسْبَقْ إليه فيخترعه،

-أو شيء ناقص يتمّمه،

-أو شيء مغلَق يشرحه،

-أو شيء طويل يختصره دون أن يخلّ بشيء من معانيه،

-أو شيء متفرّق يجمعه،

-أو شيء مختلط يرتبه،

-أو شيء أخطأ فيه مصنّفُه فيصلحه".

ولا شك في أنّ أجود البحوث كما يتضح من خلال ترتيب هذه الأقسام، في كلام ابن جماعة والسيوطي والقنوجي، هو ما كان جديدا، وعبّروا عن ذلك بقولهم "لم يسبق إليه" ويعبّر عن هذه الجدة أيضا بالأصالة، ولاشك في أنّ هؤلاء العلماء لم يكونوا يقصدون الجدة وحدها، بل الفائدة العامة، فالبحث حين يكون جديدا أصيلا ينفع الناس نفعا كثيرا، وهذا النفع يَقِلُّ في مواضيع البحث التي تأتي من حيث الأهمية في الرتبة الثانية، وقد تنعدم الفائدة في البحوث التي تأتي تكرارا حرفيا لما سبقها، فالبحث إذا تناول موضوعا قديما مبحوثا دون إضافات لا يفيد في شيء، وقد يتناول البحث موضوعا جديدا لكن لا فائدة فيه، لذلك فالجِدَّةُ وحدها لا تكفي بل لا بد من أن تكون الجدة مقرونة بالفائدة.

2-4- من سبل العثور على موضوع صالح للبحث:

أ.القراءة: هي السبيل للعثور على موضوع صالح للبحث، فكلما كثرت قراءة الباحث، واتسع مجال اطلاعه، تبدّت أمامه مواضيع بحثية. وليست كل القراءة نافعة في تحديد موضوع البحث، بل ينبغي أن تكون القراءة واعية فاحصة هادفة، تتأمل كثيرا، وتنقد كثيرا، وتتوقف كثيرا للتحقق والتثبت، وهذه هي صفات القراءة التي تثمر موضوعا بحثيا مفيدا.

والقراءة المقصودة لا تتم في وقت وجيز، بل هي قراءة طويلة قد تمتد سنوات، فكي يُلِمَّ الباحث بخيوط موضوع البحث بعض الإلمام لا بد أن تكون مدة القراءة والمطالعة الفاحصة طويلة، لأن هذه القراءة تحدّد ما بُحِثَ وما لم يُبْحَثْ وما بُحِثَ بَحْثًا نَاقِصًا مُخِلاًّ، ولا يمكن أن يعثر الباحث على موضوع بحثه دون بذل مجهود في القراءة والفحص والتأمل، فالمواضيع المهمة لا تأتي صدفة في الغالب.

ب.متى يبدأ البحث في موضوع البحث؟: ومن الأخطاء الشائعة المتداولة في البحث العلمي الجامعي العربي خاصة، تأجيل تحديد موضوع البحث إلى آخر لحظة في عمر الدراسة الجامعية، ويبدو أنّ هذه عادة سيئة، ذلك بأنّ تحديد موضوع البحث وتجميع خيوطه ومادته لا يتم بين عشية وضحاها، ولذلك يختار الطلبة غالبا مواضيع مستهلكة قُتِلَتْ بَحْثًا، لضيق وقت البحث عن

الموضوع، ولغياب ثقافة بحثية طويلة الأمد، ولذلك من المفيد أن يُوَجَّهَ الطلبةُ والباحثون عموما إلى وضع مشروع بحثي شخصي تنطلق عملية بنائه منذ التعليم الثانوي، فمتى طال التفكير في موضوع البحث والانشغال به مدّة، اهتدى الباحث إلى موضوع نافع مفيد، وأبدع فيه وأفاد.

ج.الانشغال واليقظة : من الصفات الضرورية للباحث الانشغال واليقظة، فمتى كان يقظا منشغلا بالبحث استطاع أن يلتقط الإشارات العابرة التي تساعده على اختيار موضوع البحث، سواء حين يقرأ كتابا أو مقالا، أو حين يحضر ندوة أو محاضرة، فكثيرا ما يطرح الكُتَّابُ والمُحَاضِرُون قضايا وإشكالات تصلح موضوعا للبحث، وكلَّما سيطرت المشكلة على ذهن الباحث كانت نتيجة البحث أفضل(عبد الفتاح محمد العيسوي، وعبد الرحمن محمد العيسوي،1997)، لكن إذا لم يكن الباحث يَقِظًا فَطِنًا منشغلا بالبحث فلن يُلقيَ بالا لما يَجِيءُ فيما يقرأ أو يسمع، وحضور المحاضرات والندوات والمؤتمرات العلمية ومطالعة ما ينشر حديثا في المجلّات والدوريات أمر مهم للباحث، فهذه فرص ثمينة قد تختصر جهدا كثيرا بالنسبة إلى الباحث المبتدئ خاصة، لذلك على طلبة العلم أن يعلموا أنَّ حضور الندوات والمحاضرات ليس نافلة، بل هي من فروض البحث العلمي.

د.سؤال أهل الخبرة والاختصاص: الاستعانة بأهل الخبرة والاختصاص أمر مفيد في غالب الأحيان، ولذلك وجد ما يعرف في البحث الرسمي الجامعي بالمشرف، فالباحث في الإجازة أو الماستر أو الدكتوراه لا بد أن يكون بحثه بإشراف أستاذ متخصّص، يوجّهه ويُنير له طريق البحث، غير أنّ الباحث الحقيقيَّ لا يتواكل على مشرفه، وينتظر منه أن يُمِدَّهُ بكل شيء، إذ يبدو أنّ تحديد موضوع البحث في الأصل مسؤولية الباحث، والباحث إذا حدّد الموضوع بنفسه سَهُلَ عليه فيما بعد بحثه بحثا مفيدا نافعا، فالباحث حين يستشير أهل الخبرة والاختصاص لا يفعل ذلك وعقله خال مما يريد أن يبحث فيه، الباحث يستشير أهل الخبرة حين يبحث كثيرا عن موضوع البحث، ويحتار في أمره ويتردد في الإقبال أو الإحجام، عندئذ يستشير من له خبرة في مجال مشروع بحثه.

وقد حذّر(شوقي ضيف، دس، ص17) من لجوء طلبة البحث إلى أساتذتهم ليحدّدوا لهم موضوع البحث، فهذه "طريقة خطرة، إذ قد يدلّهم هؤلاء الباحثون على موضوعات لا تتفق وميولَهم الحقيقية، فيتعثرون فيها، وقلّما يحسنونها، ولعلّ في ذلك ما يجعل أولّ واجب على هؤلاء الناشئة أن لا يلقوا بزمامهم في بحوثهم إلى غيرهم".

وكلما تعدّد المستشارون اتضحت الصورة أكثر للباحث. وإذا تبنى الباحث موضوع غيره دون رغبة أو حماس أو إلمام واجهته صعوبات كثيرة في سير بحثه، لذلك " يجب أن تكون المشكلة البحثية مقبولة كثيرا لديه، إذ لا أمل في إحراز أي تقدم فيها ما لم تتوفر لدى الباحث رغبة حقيقية في دراسة المشكلة"(أحمد عبد المنعم حسن، 1996، ص42).

5. جمع مادة البحث وتصنيفها.

1.5 جمع مادة البحث: إنّ الخطوة الأولى في البحث العلمي هو التفتيش عن موضوع صالح للبحث، وحين يحدّد موضوع البحث تأتي الخطوة الثانية وهي جمع مادة البحث وتصنيفها، وجمع المادة يستلزم قراءة فاحصة لكل ما له علاقة بالموضوع، قراءة منهجية، إذ يحسن الاستعانة

بفهارس المصادر والمراجع التي لها علاقة بالبحث، فمطالعة المصادر كلها يستوجب وقتا طويلا وجهدا، فإن لم تكن قراءة المصادر هادفة واعية قضى الباحث وقتا طويلا في مطالعة المصادر والمراجع دون فائدة، والبحث العميق يستوجب أن ينفتح الباحث على المجالات الأخرى التي لها صلة بمجال موضوع البحث، فالعلوم تترابط وتتكامل فيما بينها، وكلما اتسعت دائرة مجالات القراءة عظمت نتائج البحث وأفادت، لذلك على الباحث ألا يسجن نفسه في مجال موضوع بحثه فقط.

إن على القارئ أن يكون قارئا من الدرجة الأولى؛ فعليه أن يقرأ لا في مجال اهتمامه فحسب، وإنما في المجالات المرتبطة بها، وفي مجال العلوم الأساسية التي تقوم عليها كل مجالات اهتماماته البحثية، وما يرتبط بها. وعلى الباحث أن يكون واعيا لما يقرأ ومتفحصا له"(أحمد عبد المنعم حسن، 1996، ص36)، ولذلك فعلى الباحث أن يقرأ، بعد تحديد موضوع البحث، وفي ذهنه الخطوط الكبيرة والصغيرة لتصميم موضوعه، إذ من المنهج أن يهندس الباحث تصميما أوليا يحدد فيه القضايا أو المواضيع الأساسية التي تخدم الموضوع العام للبحث، وعلى ضوء ذلك يقرأ ما تيسّر من المصادر والمراجع، ويصنف المادة ويوزعها حسب الأبواب والفصول الأولية التي رسمها في التصميم الأولي، ولا ينبغي للباحث أن يتقيد بهذا التصميم الأولي، بل عليه أن يعدّله في كلّ حين حسب ما تمليه مادة البحث وحسب ما يتضح له من خلال القراءة، فيحذف ويضيف ما بدا له من أبواب أو فصول أو مباحث.

2.5 تصنيف مادة البحث: ومن المعروف أن مادة البحث، إذا كانت نصوصا وأفكارا مقتبسة من المصادر والمراجع، تصنف في جذاذات خاصة، فيحسن تخصيص جذاذة لكل فصل وتمييزها عن جذاذات الفصول الأخرى، إما بتنويع ألوانها أو شكلها أو غير ذلك، كي يسهل تناولها والرجوع إليها حين يحين وقت تحرير البحث، وقد يستعان بملفات توضع فيها الجذاذات، فيخصص لكل باب مثلا ملف من الورق الغليظ، يتميز عن غيره من ملفات الأبواب الأخرى باللون أو الشكل، وهذه النواحي الشكلية التنظيمية لمادة البحث في جذاذات هي من اختيار الباحث، فلكلّ باحث طريقته الخاصة في تنظيم مادة بحثه، وقد يكون مفيدا جدا اليوم أن توضع جذاذات إلكترونية في الحاسوب، حيث يسهل تناولها وتعديلها ونقلها بيسر، كما يسهل التنقل بها من مكان إلى مكان.

3.5 توثيق المادة: المقصود بمادة البحث كل ما يدوّنه الباحث أثناء مطالعته المصادر والمراجع. وما يأخذه الباحث، إمّا أن يقتبسه حرفيا من المصادر، وإمّا أن يقتبس الفكرة اقتباسا غير حرفي، وفي كلتا الحالتين عليه أن يوثق ما يقتبسه، "والطريقة السائدة أن يذيل الباحث كل صفحة بما يخصها من الحواشي، بينما يفضل بعضهم نقل الحواشي إلى آخر كل فصل كما فعل " غوستاف غرنباوم" في كتابه " شعراء عباسيون"...ويفضل آخرون نقل الحواشي كاملة إلى آخر الكتاب.

ومع أننا نميل علميا إلى الطريقة الأولى، لا نرى مانعا من استخدام الطريقة التي يرغب فيها الباحث"(محمد التونجي، 1986، ص112)، ومن وظائف الهامش الأساسية توثيق المصادر، وذلك بذكر اسم المصدر وصاحبه، والمحقق إن وجد، والطبعة وتاريخ الطبعة، ودار النشر، والجزء إن وجد والصفحة، ويحيل عليه الكاتب بأرقام متسلسلة أسفل الصفحة، هذا ما كان

مشهورا متداولا في المؤلفات العربية، إذ يذكر المصدر أولا ، ثم صاحبه، ثم المحقق إن وجد ثم الطبعة، والتاريخ، ودار النشر، ثم الجزء ثم الصفحة، مثل: " جمهرة أنساب العرب، لابن حزم، تحقيق عبد السلام هارون. دار المعارف 1382ه"(أبو بشر عثمان ابن قنبر سيبويه، 1988، ج5، ص414).

وشاعت في عصرنا طريقة جمعية علم النفس الأمريكية (APA)، وتوثيق المصادر والمراجع وفق هذه الطريقة يقضي أن يذكر الاسم الأخير للمؤلف، ثم تاريخ صدور الكتاب بين قوسين، في المتن لا في الهامش، (Student Experience Team [SET], January 2015)، ثم تذكر البيانات الأخرى في آخر البحث في قائمة المصادر والمراجع، ولهذه الطريقة عيوب كثيرة فيما يخص توثيق المصادر العربية القديمة خاصة، فمن أغراض التوثيق مساعدة القارئ على الرجوع إلى المصدر بأيسر جهد وأسهل طريقة، ويبدو أن هذا الغرض الثاني لا تيسره طريقة (APA)، فذكر الاسم الأخير للمؤلف، مثل محمد أو عمر، لا قيمة له ولا جدوى منه بالنسبة إلى القارئ الذي يريد أن يعود إلى المرجع كي يطّلع بنفسه على الفكرة أو النص المقتبس، ثم ما جدوى ذكر الاسم الأخير للمؤلف دون اسم مؤلَّفه؟ فالمؤلَّف أهم بالنسبة إلى القارئ، ولا قيمة للتاريخ وحده الذي يذكر مع الاسم الأخير، فقد يصدر للكاتب أكثر من كتاب أو مقال في السنة الواحدة، وإضافة الحروف(Student Experience Team [SET], January 2015)، a ,b,c إلى السنة ليس حلا. وتزداد المشكلة تعقيدا مع المؤلفات العربية القديمة، فلو وثقنا مصدرا هكذا (السيوطي، 1990)، فهل هذا يعني أن الكتاب صادر في هذه السنة، وهل للسيوطي كتاب واحد فقط صادر أو منشور هذه السنة؟ وهل لهذا الكتاب طبعة واحدة ودار نشر واحدة ومحقق واحد؟.

إنّ القارئ يحتاج إلى أن تذكر له المعلومات المهمة التي تدلّه على المصدر بأيسر جهد وأسهل طريقة، وليس من التيسير والسهولة أن يَقْلِبَ القارئ صفحات البحث كلّه كي ينظر في آخره المصدر ثم يعود ليُتِمَّ القراءة، هكذا فإن الطريقة الميسرة والسهلة هي ما كان متبعا في التوثيق العربي القديم، فاسم المصدر أهم بالنسبة إلى القارئ ثم صاحب المصدر والمحقق، ثم الطبعة والتاريخ ودار النشر والجزء والصفحة، ومن المنهج أيضا أن يحدد تاريخ وفاة المؤلف، فذلك يفيد القارئ كثيرا، ويظهر أصالة الأفكار ومدى تقدم العلوم وتطورها، فليس من المنهج أن نذكر فكرة مؤلف في القرن الخامس عشر للهجرة ونتجاهل أو نتناسى أنّ صاحب هذه الفكرة مؤلِّف في القرن الأول أو الثالث الهجري، ومعروف أنّ الاقتباس الحرفي يوضع بين مزدوجتين، أما الاقتباس غير الحرفي فهو اقتباس للفكرة دون التقيد بلفظها كما جاء في المصدر المقتبس منه، حيث يعبّر عنها الباحث بأسلوبه، ويحيل على مصدر الفكرة في المتن بين قوسين، أو في الهامش دون أن يضع الكلام بين مزدوجتين.

4.5 تسجيل الملحوظات: في مرحلة جمع المادة وتصنيفها لا يكتفي الباحث بجمع المادة وتدوينها وتوثيقها توثيقا تاما، بل لا بد من أن يسجّل كل ما يخطر على باله من ملحوظات وتعليقات على المادة المدونة وعلى ما يقرأ عموما، لأن هذه الأفكار التي ترد على ذهنه لن يتذكرها كاملة حين يشرع يحرر البحث، ولهذا يستحسن ترك ظهر الجذاذة فارغا كي يسجل فيه ما بدا له من ملاحظات، فلا شك في أن تظهر أفكار كثيرة حول مسائل بحثه الكبرى والصغرى حين يتقدم في

جمع المادة من مصادر مختلفة، ولا بد من العودة إلى هذه الجذاذات وتقييد تلك الأفكار في محلّها المناسب من أبواب البحث وفصوله.

5.5 التعامل مع المصادر والمراجع: المصادر تختلف قيمتها، فالباحثون قسموها قسمين كبيرين، مصادر ومراجع، ويقصدون بالمصادر أمهات الكتب، وأوائل ما ألف في علم من العلوم، وما تلاها وأخذ منها سموها مرجعا، ولكن لا يعني أنّ السابق من حيث الزمن هو المصدر المهم دائما فقد يكون ما يتلوه مهما من حيث القيمة العلمية، ولكن تكاد المصادر تكون أفضل من المراجع دائما، ففي علم النحو مثلا يُعَدُّ كتاب سيبويه مصدرا وكذلك كتاب المقتضب للمبرد وغيرها من الكتب التي ألفت في القرنين الثاني والثالث والرابع الهجري، ويظهر أنه ليس هناك معيار دقيق للتمييز بين المصادر والمراجع، فمعنى المصدر والمرجع يتحدد بالنسبة إلى الفترة التي ينتمي إليه البحث، ففي القرن الواحد والعشرين يمكن القول إنّ المرجع بالنسبة لنا هو ما كتب في العصر الحديث، وما عدا ذلك فهو مصدر، ومن ثم فما ألف ابن مالك وابن هشام في النحو مثلا مصادر بالنسبة إلى عصرنا وليست مراجع رغم طول المدة التي تفصل هذه المصادر عن أمهات مصادر النحو (سيبويه والفراء والمبرد مثلا)، وهكذا فنحن أمام مصادر أصلية ومصادر فرعية، وقل ذلك عن المراجع أيضا.

6.5 ترتيب المصادر والمراجع زمنيا: من المنهج أن تُرَتَّبَ المصادر والمراجع ترتيبا تاريخيا، فالاستشهاد أو التمثيل بالمصادر لا يتم كيفما اتفق، بل لا بد من مراعاة الترتيب الزمني لها، ولذلك يحرص الباحثون على وضع تاريخ وفاة صاحب المصدر بين قوسين، ومن ثم لا يحسن الاستشهاد بالمرجع ثم المصدر أو بمصدر متأخر ثم بمصدر متقدم، فلا ينبغي الاستشهاد بابن مالك مثلا ثم سيبويه بعده في مسألة واحدة، وهذا الترتيب الزمني يفيد في ملاحظة التطور الحاصل في ما يتناوله الباحث من مسائل.

6. تحرير البحث: تحرير البحث هي آخر خطوة أساسية في البحث العلمي، وهي خطوة مهمة، لأنها تُخْرِجُ البحث إلى الوجود في صورته النهائية، ليقرأه الناس، لذلك لا بدّ من إعطائها ما تستحق من عناية واهتمام، وترتبط هذه الخطوة بالأسلوب الذي يحرّر به الباحث بحثه، ولأسلوب البحث العلمي خصائص يتعين مراعاتها، يمكن إجمالها في النقط الآتية:

1.6 الوضوح في التعبير والدقة والابتعاد عن التكلف والتصنع: فالغاية من أسلوب كتابة البحث هي إفهام المخاطبين، والباحث لا يكتب لنفسه أو للمتخصّصين فقط، بل يكتب للناس عامة، لذلك ينبغي أن يراعيَ أحوال المخاطبين وأن يخاطبهم بأسلوب مفهوم قدر الإمكان، وذلك باستعمال ألفاظ متداولة مفهومة، وإن اضطر إلى استعمال لفظ غريب، فعليه أن يشرحه في الهامش. "وشرط في التأليف إتمام الغرض الذي وضع الكتاب لأجله من غير زيادة أو نقص، وهجر ألفاظ الغريب وأنواع المجاز، وزاد المتأخرون أن يكون مسوقا على حسب إدراك أهل الزمان وبمقتضى ما تدعوهم إليه الحاجة، فمتى كانت الخواطر ثاقبة والأفهام للمراد من الكتب متناولة قام الاختصار لها مقام الإكثار وأغنت بالتلويح عن التصريح، وإلا فلا بد من كشف وبيان وإيضاح وبرهان ينبه الذاهل ويوقظ الغافل"(صديق بن حسن القنوجي، 1978، ص189).

وينبغي على الباحث أن يتجنب التصنع والتكلف في التعبير، فلا يستعمل عبارات أو ألفاظا لا فائدة منها في الإيضاح والإفهام، كأن يُكْثِرَ من المرادفات في غير حاجة، أو أن يلجأ إلى التشبيهات والاستعارات والكنايات التي لا حاجة إليها في الإيضاح والبيان، ومن خصائص الأسلوب العلمي الدقة، فلا بد من استعمال المفردات والمصطلحات في محلّها المناسب وبمفهومها الخاص، ولذلك يلجأ بعض الباحثين إلى تحديد المعنى المقصود من مصطلحات يوظفونها في أبحاثهم.

ولعله من المعلوم أنّ الباحث ينبغي أن يكون ملمّا باللغة التي يكتب بها بحثه، وكثرة القراءة هي السبيل النافع لتحسين الأسلوب. والوضوح في التعبير يقتضي أن يحرر الباحث بحثه بجمل قصيرة مترابطة منسجمة فيما بينها، وهذا يتحقق عن طريق ترتيب الجمل ترتيبا متسلسلا، وتوظيف روابط لغوية وغير لغوية مناسبة.

2.6 تجنب الحشو والاستطراد: قلنا إنّ الغاية الكبرى لأسلوب البحث العلمي هي الإيضاح، لذلك يحسن الابتعاد عن كل ما ليس له علاقة بهذه الغاية، من ذلك تجنب الحشو والاستطراد، فلا فائدة من كل كلمة زائدة أو جملة أو فقرة أو فصل أو مبحث في البحث لا يوضح مسألة هي من صلب موضوع البحث، فالمطلوب في أسلوب البحث أن يكون خاليا من الحشو والاستطراد، قال(بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله، ابن جماعة، 2012، ص107): "والأولى أن يعتني بما يعمّ نفعه وتكثر الحاجة إليه، وليكن اعتناؤه بما لم يسبق إلى تصنيفه متحريا إيضاح العبارة في تأليفه معرضا عن التطويل المملّ والإيجاز المخلّ مع إعطاء كل مصنّف ما يليق به".

وتزداد الحاجة إلى هذا الأمر في عصرنا عصر السرعة، فالناس اليوم لا وقت لهم كي يقرؤوا كلاما كثيرا فيه تكرار وحشو واستطراد، فإن كان هذا مقبولا مستساغا في العصور المتقدمة فإن عصرنا يرفض ذلك، فالإنسان اليوم يحب أن يقرأ قليلا ويستفيد كثيرا.

3.6 تجنب الجزم في الأحكام: لا يحسن بالباحث أن يستعمل أسلوبا يفيد الجزم في الأحكام التي يقرّرها في بحثه، فنتائج البحث تظلّ، مهما بلغت من الدقة والعلمية، نسبية قابلة للأخذ والردّ، ثم إنّ الباحث لا يمكن مهما بذل من جهد أن يحيط بموضوع بحثه من جميع جوانبه، ولذلك من الاحتياط أن لا يجزم الباحث في الأحكام وأن لا يعمّم، فيعبّر عن ذلك بأسلوب وعبارات فيها ترجيح، مثل: يبدو، يظهر، أحسب، لعلّ.

4.6 تجنب الأخطاء النحوية والصرفية والإملائية واللغوية: لكل لغة قواعد لا بد من احترامها أثناء التحرير بها، ووضوح الأفكار مرتبطة باحترام هذه القواعد، وإذا كانت اللغة اشتقاقية إعرابية ازدادت الحاجة إلى العناية بقواعدها في النحو والصرف والإملاء، فلا يخفى أثر القواعد النحوية والصرفية والإملائية في وضوح المعنى في اللغة العربية، فخطأ إعرابي واحد مثلا يؤدي إلى لبس في المعنى، وقد يقلب المعنى رأسا على عقب، ومعروف أنّ اللحن المؤدّي إلى فساد المعنى هو الباعث على نشأة النحو العربي، قال(جلال الدين السيوطي، 1988، ص30): "قدم أعرابي في زمان عمر، فقال من يُقْرِئُنِي مِمَّا أنزلَ الله على محمد، فأَقْرَأَهُ رجلٌ سورةَ براءة فقال: (إِنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولِهِ) (التوبة، الآية3). بِالجَرّ فقال الأعرابي: أَوَ قَدْ بَرِئَ اللهُ من

رسوله؟ إنْ يكن الله قد برئ من رسوله فأنا أبْرَأُ منه. فبلغَ عمرَ مقالةُ الأعرابي فدعاه فقال يا أعرابيُّ أتبرأ من رسول الله؟".

"... فقال عمر: ليس هكذا يا أعرابي. قال: فكيف هي يا أمير المؤمنين؟ فقال :(إِنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ المُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ) فقال الأعرابي: وأنا والله أبرأُ ممَّا بَرِئَ اللهُ ورسولُه منه. فأمر عمرُ بنُ الخطاب ألا يُقْرِئَ القرآنَ إلا عالمٌ باللغة، وأمر أبا الأسود فوضع النحوَ" (جلال الدين السيوطي، 1988، ص30-31). ولا عيب في أن يرجع الباحث إلى أهل الاختصاص أو مصادر اللغة ليبحث عما يعنيه في أسلوب بحثه، وفي اللسانيات دراسات كثيرة تهتم باتساق النص وانسجامه(محمد الخطابي، 1991، ومحمد العبد، 2014).

5.6 التوظيف السليم لعلامات الترقيم: لعلامات الترقيم وظائف مهمة في الإفهام والتنظيم، فهي بمثابة علامات توضع في طريق القارئ كي توجهه الوجهة الصحيحة، ولذلك لا يمكن أن يكون كلام الكاتب مفهوما يسير الفهم دون هذه العلامات، فالنقطة والفاصلة والنقطتان والنقطة الفاصلة والمزدوجتان وغيرها وسائل شكلية مهمة لها دورها الأساس في تبليغ الفكرة تبليغا واضحا سهلا، فلو حذفت علامات الترقيم من نص ما لأصبح مبهما عسير الفهم. ومن هنا لا بد للباحث أن يوظفها توظيفا سليما، وأن يعتني بها عناية كاملة. وهذه العلامات هي محاولة لتجسيد بعض الفونيمات الفوقطعية(أحمد مختار عمر، 1997، ص92)، مثل التنغيم والمِفْصَلُ، فجملة: لا أشكرك، ملتبسة في الكتابة، لأنها يمكن أن تَؤَدَّى صوتيا أداء متنوعا يغيّر المعنى، فإذا نطق المتكلم هذه الجملة دون وقفة صوتية بعد لا، مثلا، فإن المعنى هو نفي الشكر، أما إذا وقف بعد لا، فالمعنى مختلف، وفيه إثبات للشكر ونفي لشيء مذكور في السياق، فعلامات الترقيم هي محاولة لتمييز هذه المعاني الصِّوَاتِيَّةِ، لذلك فوضع فاصلة بعد "لا" للدلالة على وقفة صوتية قصيرة، يؤدي معنى مختلفا عن عدم وضع فاصلة بعد "لا". وقد تناول باحثون هذا الموضوع في علم الصواتة، منهم (سمير شريف استيتة، 2008)، و(تمام حسان، 1990)، و(أحمد محمد قدور، 2008)، و(جان كانتينو، 1966).

6.6 عدم الإفراط في استعمال ضمير المتكلم: يلجأ الباحث في بعض الأحيان إلى استعمال ضمير المتكلم المفرد أو الجمع في أسلوب الكتابة، إمَّا ليعبّر عن رأي خاص في مناقشة فكرة، وإمَّا لتقرير نتائج بحثه أو في غير ذلك، واستعمال ضمير المتكلم ليس عيبا، بل قد يكون ضروريا في بعض الأحيان كي تبرز شخصية الباحث، فمهمة الباحث لا تنحصر في الوصف والنقل، بل تتعدى ذلك إلى المقارنة والتحليل والاستنتاج كما أسلفنا، لكن لا ينبغي أن يحضر ضمير المتكلم حضورا طاغيا، بل يحسن أن يستعمل في مقامه المناسب، وتجدر الإشارة إلى أنّ شخصية الباحث يمكن إبرازها دون ضمير المتكلم بصيغ مختلفة، فعوض أن يقول باحث أرى كذا وخلصتُ إلى كذا يمكن أن يقول يرى البحثُ، وخلص البحثُ مثلا.

ورأيي أنّ استعمال ضمير المتكلم المفرد أو الجمع يكون محمودا إذا لم يكن في ذلك مبالغة وإذا استعمل في المقام المناسب، ويبدو أنّ استعمال ضمير المتكلم المفرد أفضل عندما يعبر الكاتب عن رأيه الخاص هو، كي لا يُفْهَمَ أنّ هناك من يشاركه في رأيه، إذ لا فائدة ترجى من استعمال الجمع "نحن" إن كان القصد هو الباحث وحده، وإن كان(عبد الرحمن بدوي، 1977، ص13)

يرى غير ذلك، قال: "أنه إذا نحن استعملنا ضمير الجمع بدل ضمير المفرد في كتاباتنا، فإن هذا الاستعمال تقليد عربي أصيل في صيغة التكلم من صيغ الكلام. ثم لأنه هو الاستعمال المتعارف عليه في المقال العلمي والتأليف الأكاديمي، فضلا على أنه يفيد معنى "المشاركة" و"القرب"، ولا دلالة له إطلاقا على تعظيم الذات ولا على الإعجاب بالنفس".

7.6 تقسيم المتن إلى فقرات منسجمة صغيرة: من الأمور التنظيمية المهمة في تحرير البحث تقسيمه إلى فقرات صغيرة، كي تسهل قراءتها وفهم معناها دون جهد كبير، فكلّما طالت الفقرة صعب الإلمام بفحواها، وأدى طولها إلى ضياع معناها عند القارئ، وقصر الفقرات له وظيفة جمالية للبحث، ذلك أنّ البحث يظهر في صورة قبيحة مُنَفِّرَةٍ إذا كانت فقراتها تستغرق مساحة كبيرة، كأن تكون الصفحة كلها فقرة واحدة، وقصر الفقرة ينسجم مع تجنب الحشو والاستطراد، ذلك بأن الفقرة في الغالب تتناول فكرة واحدة، وتعالجها حسب ما يقتضيه المقام، إما بشرح أو تعليق أو معارضة أو غير ذلك، ومما يراعى في فقرات البحث الانسجام والاتساق، بمعنى أن تكون فقرات البحث مترابطة متماسكة، بينها خيط ناظم، وهذا الترابط يكون معنويا، فالفقرة السابقة تنسجم مع التي تليها انسجاما معنويا، كأن تكون اللاحقة شارحة للسابقة أو معارضة لها، ومن طبيعة الحال فإن للروابط اللغوية دورا في هذا الانسجام بين الفقرات.

8.6 عدم الإفراط في النقل الحرفي من المصادر: اعتماد المصادر والمراجع مسألة أساسية في البحث العلمي، فالبحث لا يقوم إلا بها، لكن لا ينبغي أن يقف الباحث عند حدود النقل، فهذه نقطة الانطلاق فقط، بل لا بد من أن يستثمر مادة البحث كي يخلص إلى نتائج جديدة، ونقل المادة لا يجب أن يكون فيه إفراط، فلا يحسن أن يكون البحث معظمه نقلا حرفيا لكلام الآخرين، فالباحث ينقل ما هو ضروري فقط، والضرورة تقدر بقدرها، وهذا النقل الضروري لا ينبغي أن يطغى على كلام الباحث، إذ عليه أن ينقل ما قلّ ودلّ، فلا يحسن أن ينقل الباحث فقرة كاملة، أو أن يكون الكلام المنقول أكثر من كلامه هو، فالنقل الحرفي الكثير الذي يملأ البحث يوحي إلى ضعف شخصية الباحث، وشخصية الباحث تذوب في النقل الحرفي المفرط.

والسبيل إلى تكوين أسلوب شخصي وأحكام أصيلة هو الإكثار من القراءة، فـ"إشباع النفس بقراءة النصوص النثرية والشعرية والبلاغية والنحوية القديمة ضرورة ملحة لطالب الدراسات العليا، فبها تنصقل قريحته، ويسمو ذوقه، وتتهذب إحساساته، وتتأصل روح النقد والمقارنة فيه، ويظهر أحكامه قبل أن يتأثر بأحكام أصحاب الفروع. وهذا بالتالي يساعده على توليد أحكام الذاتية في نفسه"(محمد التونجي، 1986، ص25)، ولذلك فقراءة المصادر أو المؤلفات القديمة أفضل غالبا من الاكتفاء بقراءة المراجع التي هي فروع عن المصادر، "فمعرفة شعر أبي تمام تأتي من مطالعة ديوانه بدقة أفضل من مطالعة أي كتاب عن أبي تمام. ودراسة المشتقات في شذور الذهب مثلا خير من دراستها في أي كتاب نحوي حديث"(محمد التونجي، 1986، ص25).

7. تصميم البحث:

1.7 العنوان: للعنوان قيمة كبرى في التأليف والبحث العلمي، فهو أول ما يقع عليه بصر القارئ أو أول ما تسمع أذن المستمع، وللعنوان وظائف متنوعة، أهمها تسمية المؤلَّف وتمييزه، والدلالة على مضمونه، والتشويق لقراءته، ولهذا لا بد من االاهتمام بالعنوان وصوغه صياغة تحقق هذه

الوضائف، وقد حدّد (عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان، 2005، ص53) بعض معايير جودة العنوان، منها أن يكون مُفْصِحًا عن الموضوع، مُبيّنا لحدوده وأبعاده، موحيا بالأفكار الرئيسة فيه. ويشترط في العنوان أيضا أن يصاغ في عبارة مختصرة، إذ طول العنوان مكروه، وإن كان موضوع البحث يقتضي ذلك فيفضل تذييل العنوان الرئيسي بعنوان فرعي.

2.7 المقدمة: هي عنصر مهم من عناصر البحث العلمي والتأليف، وتسمية هذا العنصر بالمقدمة لا يعني أبدا عدم أهميته أو إمكانية الاستغناء عنه بالنسبة إلى القارئ والمؤلِّف معا، فالمقدمة هي مفتاح البحث وخارطته، ولذلك فالبحث بلا مقدمة أو قراءة بحث دون مقدمته هو سير في مجهول بلا دليل، "فإن منزلة هذه المقدمات من كلّ كلام مؤلَّف منزلة الرأس من الجسد والأساس من البناء، وكما أنّ الرأس يضم أعضاء الجسد ويرأسها، وكذلك المقدمة التي يقدمها المنشئ في صدر كلامه تضم ما تتبعه وتقع في ضمه"(علي بن خلف الكاتب، 2003، ص83).

وقد اهتم القدماء بمقدمة التأليف وتحدثوا حديثا علميا منهجا عن مكوناتها، وميزوا في التأليف بين نوعين من المقدمات: مقدمة العلم ومقدمة الكتاب، و" قالوا: الواجب على من شرع في شرح كتاب ما أن يتعرض في صدره لأشياء قبل الشروع في المقصود، يسميها قدماء الحكماء الرؤوس الثمانية[1]"(صديق بن حسن القنوجي، ص85).

ومنهم من اعتبر مقدمة العلم، ومقدمة الكتاب، اسمين لشيء واحد (احميدة العوني، 2015 ، ص24-25)، قال(أبو المواهب الحسن بن مسعود اليوسي، 1998، ص342): "ورتَّبوا في صدور الكتاب تراجم، تعرب عنه سموها الرؤوس وهي: الاسم، والماهية، والواضع، والغرض، والمرتبة...وهي تارة تضاف إلى العلم، فتكون مقدمة العلم، سواء وضعت في كتاب أو لا، صُدِّرَت أو لا، فمنها ما يتوقف عليه الشروع في العلم توقّفا ما، ومنها ما يُستعَان به استعانة ما كما مرّ، وتارة إلى الكتاب، فتكون مقدمة للكتاب كذلك، ولا بد أن توضع في أوله، ويزاد فيها وينقص بحسب الحاجة".

وهذا دليل واضح على وعي القدماء بأهمية المقدمة، وإبداعهم في تحديد مكوناتها، حيث سمّوها الرؤوس الثمانية أو المبادئ الثمانية، وقد خصّ(عباس أخليفة، 2003) المقدمة في التراث الإسلامي ببحث قيّم، بيّن فيه أنّ هاجس الإبداع كان عنصرا مهما من عناصر المقدمة في التأليف، حيث إنّ المؤلفين كانوا يعبّرون في المقدمة أنهم أتوا بجديد لم يسبقوا إليه...وعلى كل حال يمكن القول إنّ ما يشترط في المقدمة الآن لا يختلف كثيرا عما قرّره القدماء، فالمقدمة لا يمكن أن تؤدي وظائفها إلا إذا توفرت على العناصر الآتية:

أ.بيان مشكلة البحث وحلّها: يستعمل الباحثون اليوم مصطلح " مشكلة" حين حديثهم عن موضوع البحث وأهميته، ذلك بأنه لا يمكن تصور بحث نافع دون مشكلة حقيقية، والمشكلة متنوعة وليست مادية تجريبية دائما، وقد أشرنا إلى "المشكلات" السبع التي تستدعي البحث(انظر

[1] أولها الغرض من تدوين الكتاب، وثانيها المنفعة، أي فائدة الكتاب، وثالثها السمة، ويقصد بها تعريف العلم برسمه أو ببيان خاصة من خواصه، ورابعها الواضع الأول لهذا العلم، وخامسها من أي علم هو: من النظريات أو العمليات، من الشرعيات أو غيرها، وسادسها بيان مرتبته ضمن العلوم الأخرى، وسابعها القسمة أي بيان أجزاء العلم وأبوابه ليطلب المتعلم ما يرغب في تعلمه فلا يضيع وقته في التنقيب عما لا حاجة له فيه، وثامنها الأنحاء، ويقصد بها منهج البحث(احميدة العوني، 2015، ص24).

معيار صلاحية موضوع البحث في هذه الدراسة)، وينبغي أن تصف المقدمة مشكلة البحث وحدودها " حتى لا يكون هناك أي لبس فيما يتعلق بالموضوع المحدّد للدراسة.. وفيما يتعلق بالسؤال الذي تحاول الدراسة الإجابة عليه"(أحمد بدر، 1996، ص392)، ويرى (أحمد بدر، 1996، ص393)، أنّ على الباحث أن يذكر الفرض النهائي المُتَوصَّلَ إليه في المقدمة، ففي نظره لا فائدة من تأجيل ذكر الحلّ إلى آخر البحث، فأسلوب البحث العلمي يختلف عن الكتابة السردية التي تبدأ بذكر المشكلة " العقدة" وتُخْفِي الحلَّ عن القارئ تشويقا له كي يقرأ الرواية مثلا كلها ليكتشف الحلّ آخِرَهَا، "ويمكن أن نقول إذن بأن افتتاحية كل تقرير علمي يجب أن تحتوي على إيضاح دقيق للمشكلة موضع الدراسة، على أن يتلو ذلك مباشرة بيان الحلّ الذي توصل إليه الباحث أي الفرض النهائي Final Hypothesis "(أحمد بدر، 1996، ص392)، و أحسب أنّ هذا الرأي محمود في البحث العلمي، ذلك بأنّ قارئ البحث العلمي لا يرغب في معرفة الحلّ دون متابعة طريقة الباحث في كشف الحلّ، وإعلان الحلّ في المقدمة يدفع القارئ إلى متابعة المناقشة والحجج المتّبعة في الوصول إلى الحل، "إن الحلّ الفعلي للمشكلة يجب أن يكشف عنه قبل تقديم البيانات والمعلومات وهذا الأمر ضروري لمعاونة القارئ في متابعة المناقشة والدليل بشكل سليم"(أحمد بدر، 1996، ص393).

ب.أهمية البحث ودوافعه وأغراضه: جرت العادة على اعتبار أهمية البحث ودوافعه وأغراضه عناصر مستقلة ومهمة في المقدمة، لكن يبدو أن هذه العناصر مرتبطة بمشكلة البحث، فما هي إلا شرح لها وتفصيل، فأهمية البحث ودوافعه تتمحور حول مشكلة البحث، فالمشكلة هي الدافع الحقيقي للبحث النافع، وأهمية البحث مرتبط بوجود مشكلة، فلا يمكن أن نتحدث عن دوافع البحث وأهميته إذا لم تكن هناك مشكلة حقيقية تدفع للبحث وتجعل موضوع البحث مُهِمًّا، إذن فمن الأحسن أن يتحدث عن مشكلة البحث وظروف اكتشافها. وهناك من يتحدث أيضا عن أغراض البحث، وهذا العنصر متصل بالمشكلة أيضا، ذلك بأنّ الغرض الطَّبَعِي والبَدَهِي للبحث بعد تحديد المشكلة هو حلّ هذه المشكلة، ولا غرضَ مُهِمًّا بعد هذا، ولكن يمكن تسويغ إفراد عنصر لأغراض البحث بحاجة بعض مشكلات البحث إلى شرح مقاصدها وبيانها، حيث قد لا يكون تحديد المشكلة وذكر حلّها كافيا لبيان أغراض البحث، كما قد يكون للبحث أغراض أخرى تتفرع عن المشكلة وحلّها الأساس.

ج.نقد الدراسات السابقة: قلنا إنّ الجِدَّةَ من بين شروط موضوع البحث العلمي النافع، ولا يمكن التحقق من جدّة الموضوع إلا بالاطلاع على الدراسات السابقة في مجال الموضوع وسؤال أهل الخبرة والاختصاص. وإن كانت الإحاطة بكل ما كتب في الموضوع، قديما وحديثا، عسيرة أو مستحيلة، فإنّ الانشغال بالموضوع المراد بحثه مدة طويلة وتصفح فهارس المكتبات وعناوين المؤلفات والدراسات في المجلّات والدوريات يمكن أن يبيّن مدى جِدَّةِ الموضوع و مواطن الخلل والنقص فيه إن كان متناولا، والغرض من ذكر الدراسات السابقة في المقدمة هو نقدها، والنقد المفيد في هذا المقام هو بيان مواطن الخلل والنقص، باعتبار ذلك مبررا للبحث، وبغير الاطلاع على الدراسات السابقة " تكون محاولات الباحث ضربا من التخبط الذي يقود حتما إلى تكرار ما سبق أن توصل إليه آخرون، مع احتمال تعرضه لنفس الأخطاء التي تعرضوا لها من قبل، دون

أن تتاح له الفرصة لإضافة أو ابتكار أي جديد في هذا المجال"(أحمد عبد المنعم حسن، 1996، ص44).

د.وصف منهج البحث: هذا من بين العناصر الضرورية في المقدمة، ذلك بأنّ الباحث ملزم بأن يصف منهجه وطريقته في الوصول إلى الحلّ، والمناهج تختلف حسب موضوع البحث ومجاله، وتتعدد المناهج غالبا في البحث العلمي، إذ يصعب أن يعتمد الباحث منهجا واحدا، ووصف منهج البحث وطريقته تساعد الباحث أولا على السير ببحثه سيرا سليما كما تسعفه على الوصول إلى نتائج موثوق بها، ويحتاج القارئ إلى معرفة منهج الباحث كي يتتبع هو بنفسه مَسِيرَ البحث من إعلان المشكلة إلى إعلان النتائج.

ه.خلاصة مركزة لأهم خطوات البحث ومحاوره: إذ من وظائف المقدمة أن تقدّم صورة مصغّرة واضحة عن فحوى البحث كلّه، وما يساعد على ذلك ذكر محاور البحث الكبرى والصغرى في البحث. وتجدر الإشارة إلى أنّ الباحث ليس ملزما بأن يذكر هذه العناصر مستقلة واحدة تلو الأخرى، بل تبقى له الحرية في أن يصوغ هذه العناصر وفق ما يراه مناسبا، ويدمج العناصر التي يمكن أن تدمج، إذ يمكن أن يتحدث عن منهج البحث وخطته ونتائجه في سياق واحد.

و.تعريف المصطلحات: قد يعرف الباحث بعض المصطلحات المهمة في بحثه(أحمد عبد المنعم حسن، 1996، ص395)، لأن المصطلحات هي المفاتيح الأساسية للإفهام والتفاهم بين الباحث والقارئ، والمصطلحات التي تستحق الشرح هي التي يشوبها غموض أو لبس وإن كانت شائعة متداولة، وجرت العادة على أن تعرف المصطلحات التي تشكل جوهر موضوع البحث، وهذا التعريف يكون لغويا ثم اصطلاحيا.

متن البحث(العرض): لا يمكن لأي بحث أن يقدم في شكل نص واحد مكون من فقرات عدة دون تقسيمه إلى أجزاء متسلسلة مترابطة يؤدي بعضها إلى بعض، فالبحث مهما كان حجمه لا يستقيم عرضه دفعة واحدة وفي نص واحد وتحت عنوان واحد، إذ لا بد من تجزيئه إلى أجزاء، تسمى في البحوث الطويلة أبوابا وتحتها فصول وتحت الفصول مباحث، ويقسم البحث القصير (مقال) إلى أجزاء يعبر عنها بعناوين مستقلة ترتيب ترتيبا عدديا أو ألفبائيا.

وعدد الأجزاء يقتضيه موضوع البحث، وهذه العملية تبدأ مع أول خطوة في البحث وهي جمع المادة وتصنيفها، ويستمر الباحث في تجزيء بحثه وتعديل الأجزاء، ولا يستقر التقسيم إلا في نهاية البحث عند تحريره. وهذه الأجزاء تقدم وفق المنهج المتبع في البحث، " وتتناول الحيثيات والمناقشات المختلفة واحدة بعد الأخرى"(أحمد بدر، 1996، ص395)، ومما ينبغي مراعاته في أجزاء البحث إلى جانب التسلسل المعنوي، التناسب الكمي. فليس من المناسب أن يشتمل باب على 200 صفحة وباب على 30 صفحة وآخر على 80 صفحة، وليس من المناسب أن يُجَزَّأَ بابٌ إلى أربعة فصول وباب إلى فصل أو فصلين، فلا بد من مراعاة التوازن الكمي العددي بين الأبواب والفصول، لكن لا يعني هذا أن تكون الأجزاء متساوية تماما(عبود عبد الله العسكري، 2004، ص105)، بل المناسب هو التقارب بين أجزاء البحث، حتى لا يبدوَ أَعْوَجَ أَعْرَجَ. وإنْ كان كَمُّ المادة تتحكم فيها أفكار البحث ومدى احتياجها للبيان والتوضيح والدليل، فإنّ الباحث

ينبغي أن يجتهد قدر الإمكان في أن يأتي بحثه متناسقا من حيث عدد أجزاء الأبواب والفصول ومن حيث عدد كل جزء في الباب أو الفصل.

ويحسن أن ينتهي كل جزء أساسي في البحث بفقرة أو فقرات مختصرة " تلخص ما جاء في الجزء وتذكِّر القارئ بالدليل الذي اعتمد عليه الباحث"(أحمد بدر، 1996، ص396)، وهناك أمر آخر مهم في أجزاء البحث هو عناوين الأبواب والفصول والمباحث، فالمطلوب فيها أن تكون دالة على المحتوى دلالة واضحة دقيقة، وعموما فعناوين أجزاء البحث مثلها مثل العنوان الرئيس للبحث لا بد من أن تتوفر فيها شروط الوضوح والدقة والاختصار، وهذا تمثيل للتناسق المرغوب في البحث:

الفصل الأول.....90 صفحة

المبحث الأول:.....30 صفحة

المبحث الأول:.....30 صفحة

المبحث الأول:.....30 صفحة

الفصل الثاني.....90 صفحة

المبحث الأول:.....30 صفحة

المبحث الأول:.....30 صفحة

المبحث الأول:.....30 صفحة

8.خاتمة: الخاتمة جزء مهم من هيكل البحث، سواء أكان قصيرا أو طويلا، وهي آخر ما يقرأ القارئ أو يسمع السامع، و" هي النتيجة المنطقية لكل ما جرى عرضه ومناقشته، وهي المساهمة الأصيلة والإضافة العلمية الجديدة التي تنسب للباحث بلا مزاحمة أو منافسة، إنها تذهب إلى أبعد من قضايا البحث ومقدماته، حيث تعلن فيها الأحكام وتقرر النتائج" (عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان، 2005، ص210)، لكن أحكام البحث لا تعلن في الخاتمة جافّةً، بل لا بد من ملخص يركز أهم الخطوات التي اتبعت في الوصول إلى النتائج، " ولا ينبغي أن يحتوي هذا الملخص على أي معلومات جديدة بل ينبغي أن يجمل في شرحه المختصر المحتويات الكلية لورقة البحث"(أحمد بدر، 1996، ص396).

الخاتمة إذن ينبغي أن تشتمل على أمرين مترابطين وردا في البحث، هما تلخيص مركز لمحتوى البحث وإبراز نتائجه، أما التوصيات أو الاقتراحات فهي ليست جزءا من البحث(بدر، 1996، ص397)، لذلك لا يمكن اعتبارها عنصرا من عناصر الخاتمة، بل هي شيء إضافي يمكن للباحث أن يذكره عند الانتهاء من الخاتمة في فقرة مستقلة، قال(أحمد بدر، 1996، ص407): "وتنتهي ورقة البحث عادة بتلخيص مختصر للدراسة كلها، أما بالنسبة للتوصيات الخاصة باتخاذ إجراء معين بناء على نتائج الدراسة...فلا توضع ولا تعتبر كجزء من الدراسة نفسها".

9.**الفهارس**: ينتهي البحث بفهرس موضوعات البحث (الفصول والمباحث...)، وقد يوضع هذا الفهرس في أول الكتاب بعد المقدمة، ثم تتلوه لائحة المصادر والمراجع، حيث يذكر الباحث المصادر والمراجع التي اعتمدها في بحثه، مرتبة ترتيبا ألفبائيا في الغالب، ذاكرا جميع بيانات

الطبع والنشر. وطريقة تقديم معلومات المصدر تختلف، فهناك طريقة ذكر اسم المصدر أولا ثم اسم صاحبه والمحقق والطبعة ودار النشر والتاريخ، ثم الجزء والصفحة، وهناك من يقدم اسم المؤلف على اسم المصدر، وهناك طريقة (APA) ، وقد أشرنا عند الحديث عن التوثيق إلى عيوب هذه الطريقة.

وقد يشتمل البحث على فهارس أخرى إذا اقتضى الأمر ذلك، ويحتكم في الغالب إلى معيار الكثرة، فإذا ورد في البحث آيات قرآنية كثيرة أو شعر كثير أو أسماء بلدان...يحسن فهرستها في فهارس خاصة، وهذا النوع من الفهرسة يستوجب ذكر صفحة أو صفحات الشيء المفهرس، وقد ذكر (عبود عبد الله العسكري، 2004، ص106-113) المعلومات والطريقة التي تثبت بها في مثل هذه الفهارس.

خاتـــمة:

هذا مقال حاول تلخيص أهم أصول البحث العلمي وقواعده وخطوات كتابته، حيث ذكر الصفات التي تساعد على البحث، من ذلك الصبر والأناة والثقة في النفس والأمانة والموضوعية والقدرة على النقد والتحليل، وأشارت إلى بعض مناهج البحث العلمي الشائعة، منها المنهج الوصفي التحليلي والمنهج التجريبي والمنهج الاستقرائي والمنهج التاريخي، ثم ذكر الخطوات العملية للبحث العلمي، وهي البحث عن موضوع صالح للبحث، وقد حدد معايير صلاحية الموضوع للبحث، وهي الجدة والفائدة، وأشار البحث إلى سبيل العثور على موضوع صالح للبحث، من ذلك مداوة القراءة واليقظة والانشغال وسؤال أهل الاختصاص، ثم تحدث عن الخطوة الثانية وهي جمع المادة وتوثيقها وتصنيفها وتحليلها، وذكر أهم ما ينبغي مراعاته في الخطوة الثالثة وهي تحرير البحث، من حيث أسلوب الكتابة، وتصميم البحث، وعنونته، وتنسيق أجزائه، كما بين العناصر المهمة في مقدمة البحث وخاتمته، ويظهر أنّ هذا المقال يمكن أن يسدّ الفراغ الذي تعانيه مقررات التعليم المدرسي والجامعي في العالم العربي، حيث يمكن أن يكون دليلا ميسرا سهل المأخذ بين يدي المتعلمين والباحثين والمشرفين على البحوث أيضا، فالمقال أعطى صورة واضحة مكتملة عن أصول البحث العلمي وقواعده وخطواته، وتَمثُّلُ ما جاء في المقال يمكن أن يقضي على التخبط الذي يطبع البحوث غالبا، ويمكن أن ينشر الوعي بأهمية موضوع منهجية البحث العلمي، وهذا يُسهم في رقي البحث العلمي.

ويرى المقال أنّ التوثيق على طريقة الجمعية الأمريكية لعلم النفس فيه عيوب، يحسن تجنبها، أولها نقص معلومات توثيق المصادر والمراجع في متن البحث، ذلك بأنّ ذكر الاسم الأخير للكاتب وتاريخ صدور كتابه فقط، لا قيمة له، لأنه لا يَدُلَّ القارئ على المصدر دلالة واضحة، وهذا ما يضطره إلى أن يبحث عن المعلومات الكاملة (الاسم الكامل للكاتب واسم كتابه والمحقق وتاريخ النشر ودار النشر والجزء...) في آخر البحث أو الكتاب، ويضطر إلى أن يكرر هذه العملية مرات عديدة وهو يقرأ المقال أو البحث، وهذا أمر متعب ومنفّر، ولذلك يحسن كثيرا أن نعود إلى الطريقة التقليدية في التوثيق، حيث تذكر المعلومات كلها في هامش كل صفحة في البحث.

قائمة المراجع:

1. ابن منظور(دس)، لسان العرب، دار صادر، بيروت.
2. أبو المواهب الحسن بن مسعود اليوسي(1998)، القانون في أحكام العلم وأحكام العالم وأحكام المتعلم. ت. وشرح وتعليق وفهرسة وتقديم حميد حماني، ط1، مطبعة شالة، الرباط، المغرب.
3. أبو بشر عثمان ابن قنبر سيبويه(1988)، الكتاب، ت. عبد السلام محمد هارون، ط3، مطبعة الخانجي، القاهرة.
4. أحمد بدر(1996)، أصول البحث العلمي ومناهجه، ط9، المكتبة الأكاديمية، القاهرة.
5. أحمد عبد المنعم حسن(1996)، أصول البحث العلمي، ط1، المكتبة الأكاديمية، القاهرة.
6. أحمد محمد قدور(2008)، مبادئ اللسانيات، ط3، دار الفكر، دمشق.
7. أحمد مختار عمر(1997)، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة.
8. احميدة العوني(2015)، الأسس المنهجية لتبويب النحو العربي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
9. بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله ابن جماعة(2012)، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، ت. محمد بن مهدي العجمي، ط3، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان.
10. تمام حسان(1990)، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة.
11. جان كانتينو(1966)، دروس في علم أصوات العربية، نقله إلى العربية صالح القرمادي، د.ط، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية.
12. جلال الدين السيوطي(1988)، سبب وضع علم العربية، حققه وشرحه وعلّق عليه مروان العطية، ط1، دار الهجرة، بيروت.
13. جلال الدين السيوطي(دس)، التعريف بآداب التأليف، ت. مرزوق علي إبراهيم المؤلف، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.
14. جميل صليبا(1982)، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان.
15. حامد طاهر(2008)، منهج البحث بين التنظير والتطبيق، ط2، نهضة مصر للطباعة والنشر.
16. ذياب البداينة(1999)، المرشد إلى كتابة الرسائل الجامعية، ط1، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.
17. رجاء وحيد الدويدري(2002)، البحث العلمي؛ أساسياته النظرية وممارسته العلمية، ط1، دار الفكر، دمشق.
18. سمير شريف استيتة(2008)، اللسانيات؛ المجال والوظيفة والمنهج، ط2، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن.
19. شوقي ضيف(دس)، البحث الأدبي، ط7، دار المعارف، القاهرة.
20. صديق بن حسن القنوجي(1978)، أبجد العلوم؛ الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق.
21. طه عبد الرحمن(1998)، اللسان والميزان، أو التكوثر العقلي، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
22. عباس أرحيلة(2003)، مقدمة الكتاب في التراث الإسلامي وهاجس الإبداع، ط1، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، المغرب.
23. عبد الرحمن بدوي(1977)، مناهج البحث العلمي، ط3، وكالة المطبوعات، الكويت.
24. عبد الفتاح محمد العيسوي وعبد الرحمن محمد العيسوي(1997)، مناهج البحث العلمي في الفكر الإسلامي والفكر الحديث، دار الراتب الجامعية.

25.عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان(2005)، كتابة البحث العلمي؛ صياغة جديدة، ط9، مكتبة الرشد، الرياض.
26.عبود عبد الله العسكري(2004)، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، ط2، دار النمير، دمشق.
27.علي بن خلف الكاتب(2003)، مواد البناء، ت. حاتم صالح الضامن، ط1، دار البشائر، بدمشق.
28.علي بن محمد الشريف الجرجاني(دس)، معجم التعريفات، ت. محمد صدّيق المنشاوي، دار الفضيلة.
29.ماريو باي(1998)، أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، ط8، عالم الكتب، القاهرة.
30.محمد التونجي(1986)، المنهاج في إعداد البحوث وتحقيق المخطوط، ط1، دار الملاح.
31.محمد الخطابي(1991)، لسانيات النص؛ مدخل إلى انسجام الخطاب، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت.
32.محمد الصاوي و محمد مبارك(1992)، البحث العلمي، أسسه وطريقة كتابته، ط1، المكتبة الأكاديمية، القاهرة.
33.محمد العبد(2014)، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة.
34.مراد وهبة(2007)، المعجم الفلسفي، ط5، دار قباء الحديثة، القاهرة.
35. Student Experience Team (SET)(2015), A guide to the APA 6th ed. referencing style, Library and Learning Services.